مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم ، والعلم ، والإرادة ، والخُلُق ، والشجاعة ، وغير ذلك من القوي الظاهرة والباطنة، فقال: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[1] .وإنما فعل ذلك ﷻ لأنه لو سوي بينهم في كل هذه الأحوال لم يخدم أحدٌ أحدًا ، ولم يصر أحد منهم مسخرًا لغيره ، وحينئذ يفضي ذلك إلى خراب العالم وفساد نظام الدنيا.

فاقتضت مشيئته ﷻ في عمارة الأرض أن يتفاوت الناس في المواهب والاستعدادات وفق حاجات الخلافة الكاملة في هذه الأرض . وهذه الخلافة لا تحتاج إلى المواهب والاستعدادات المتعلقة بجمع المال والأرزاق وحدها ، إنما تحتاج إلى مواهب واستعدادات أخرى قد تحقق ضرورات أساسية لخلافة الجنس الإنساني في الأرض.

وطبيعة هذه الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت في مواهب الأفراد والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل؛ والتفاوت في مدى إتقان هذا العمل ، وهذا التفاوت ضروري لتنوع الأدوار المطلوبة للخلافة في هذه الأرض ، ولو كان جميع الناس نسخًا مكررة ما أمكن أن تقوم الحياة في هذه الأرض بهذه الصورة ، ولبقيت أعمال كثيرة جدًّا لا تجد لها مقابلًا من

---

(١)الزخرف :٣٢.

الكفايات ، ولا تجد من يقوم بها والذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنمو ، خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها .

قال الشاعر :

وتلك مواهب الرحمن ليست ... تحصل باجتهاد أو بكسب

ولكن لا غنى عن بذل جهد ... بإخلاص وجد لا بلعب

وفضل الله مبذول ولكن ... بحكمته وعن ذا النص يُنْبى

فما من حكمة الرحمن وضع الـ ... كواكب بين أحجار وترب

فشكرًا للذي أعطاك منه ... فلو قبل المحل لزاد ربي

والأصل في هذا التفاوت أن كل إنسان مُهَيَّأٌ لما يتفق مع ميوله واستعداداته كما ورد عَنْ عِمْرَانَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ»[1] ، أي : كل مُهَيَّأٌ لما يحقق الحكمة الإلهية من خلق الإنسانية .

فانظر إلى حِكْمَة الله فِي عِبَاده كَيْفَ أَقَامَ كُلًّا مِنْهُمْ فِيمَا شَاءَ ؛ فَحَبَّبَ إلى كل منهم مِنْ أَنْوَاع الْعُلُوم الْمُبَاحَة ، ما يُسْرِع إلى تَفَهُّمه وَالْقِيَام به ؛ حتى تتحقق حكمته في عمارة الأرض وصلاحها بما يُرضيه ﷻ ، وبما يحقق للخَلْق الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة .

فعلى كل منا أن يسعي بجد وعزم وتصميم فيما يوافق ميوله واستعداداته ليبرز فيه ويتفرد ويكون له عند الله خصوصية لا يشاركه فيها أحد ، فيكون له

(١) صحيح البخاري : بَاب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، (٦٩٩٦).

الذكر الحسن في الدنيا : في السماء عند الملأ الأعلى ، وفي الأرض عند أهل الإيمان، والدرجة العالية في الآخرة في جنات النعيم.

ولمثل هذا فليعمل العاملون ، ويتنافس المتنافسون ، ويتسابق المتسابقون ، والله معهم بالعون والتأييد .

توفيق على زيادي

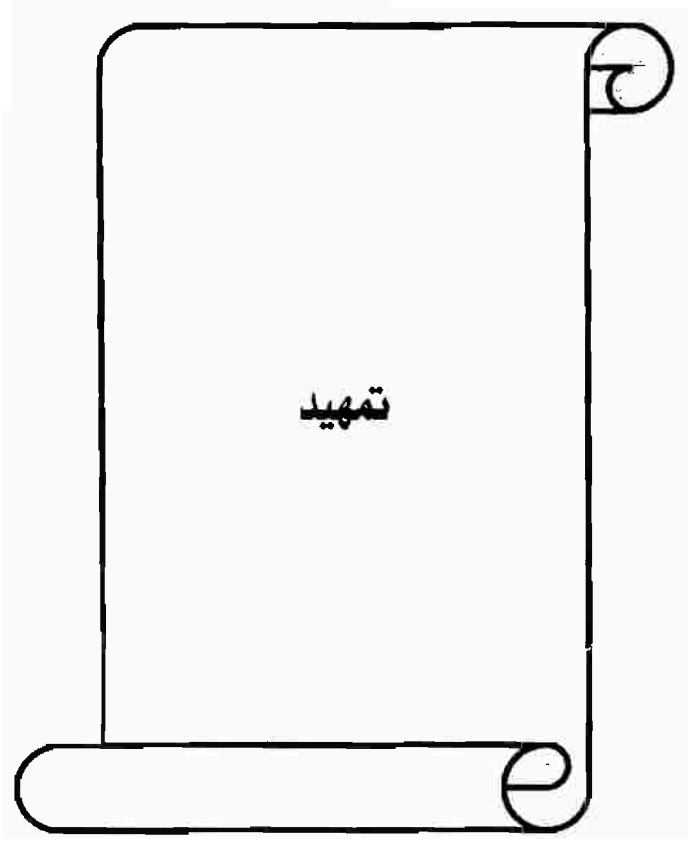
تمهيد

تعريف الخصوصية

يقال: اخْتصّ فلانٌ : بالأَمر وتخصّصَ له إِذا انفرد[١].

وقال الراغب :

خص: التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة[٢].

الخصوصية عامة وخاصة :

الخصوصية العامة : اختصاص الله للمسلمين برسالته :

قال تعالى : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[٣].

أي: يُفْرِد بها، وضد الاختصاص : الاشتراك[٤] .

أي: اختصكم -أيها المؤمنون- من الفضل بما لا يُحَد ولا يُوصَف، بما

---

(١) لسان العرب :باب خصص : ٧/ ٢٤ .

(٢) مفردات الراغب : ١٤٩

(٣)البقرة : ١٠٥ .

(٤) البحر المحيط :١/ ٤٤٤ .

شرف به نبيكم محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء وهداكم به لأحمد الشرائع[١].

الخصوصية الخاصة: اختصاص الرسول والمؤمنين بحمل رسالته :

قال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[٢] والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له. و«اختصاصه» إياهم بها: إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه[٣].

فالله أعلم حيث يجعل رسالته؛ فإذا اختص بها محمدًا ﷺ والمؤمنين به، فقد علم - سبحانه - أنه وأنهم أهل لهذه الخصوصية.

واجب المسلمين تجاه هذه الخصوصية :

- **الإحساس بمدى النعمة وقيمة المنة في اختيار الله لهم، واختصاصه إياهم بهذا الفضل.**
- **الاستمساك بهذه الخصوصية في إعزاز وحرص.**
- **أخذ هذه الخصوصية بقوة وعزم.**
- **الدفاع عنها في صرامة ويقين.**
- **التيقظ لكيد الكائدين وحقد الحاقدين.**

ويجب على المربين والدعاة والمصلحين تربية المسلمين على الأخذ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٦٠.
(٢) آل عمران: ٧٤.
(٣) تفسير الطبري: ٢/ ٤٧١.

بأسباب الشكر النظري والعملي لهذا الفضل وهذه الخصوصية .

و يدخل تحت قوله :﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴾

قومٌ اختصهم بنعمة الأخلاق، منهم :

- قوم اختصهم بالرحمة وتفردوا فيها : كما قال ﷺ «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ» .

- وقوم اختصهم بصدق الحياء وتفردوا فيه :كما قال ﷺ : «وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ» .

- وقوم اختصهم بالأمانة وتفردوا فيها : كما قال ﷺ : «أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» .

وقوم اختصهم بالعلم وتفردوا فيه، منهم :

- عالم بالفرائض(علم المواريث) : كما قال ﷺ : «وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ » .

- وعالم بالحلال والحرام : كما قال ﷺ : « وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» .

- وحاذق بقراءة القرآن : كما قال ﷺ : « وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ » .

وقوم اختصهم بنعمة العبادة : فكان أول من سن ركعتين عند القتل خبيب بن عدي ، وأول من سن ركعتي الطهارة بلال بن رباح .

ومنهم من اختصهم بنعمة الإرادة : كعاصم بن ثابت الذي قال : «أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ» فأخذ بالشدة وهو في الأسر حتي قُتِل ولم يمكن الله

الكفار من جسده .

ومنهم من اختصهم بنعمة نُصْرة الحق بالمال : كأبي بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف .

ومنهم من اختصهم بنعمة نُصْرة الحق بالنفس: كجعفر بن أبي طالب صاحب الجناحين في الجنة ، وطلحة بن عبيد الله في أُحد حتى قيل: ذهب طلحة بكل خير .

ومنهم من اختصم بنعمة الفطنة في الأمور : كخزيمة بن ثابت الذي تعدل شهادته شهادة رجلين.

ومنهم من اختصهم بحسن الخِلْقة من جمال ووقار: كدحية الكلبي رسول رسول الله ﷺ إلى الملوك.

وللنساء في الخصوصية نصيب :

فهذه خديجة -رضي الله عنها: كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلى رسول الله ﷺ وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مالها، فأدركت عزة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكانت نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة، فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها.

وهذه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها : كان تأثيرها في آخر الإسلام، فلها من التفقه في الدين ، وتبليغه إلى الأمة وانتفاع بنيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها.

وغير هؤلاء كثير وكثير ...